# رسالة في الكرم

سألني بعض الأدباء في دمشق عما يرادف كلمة (بَيْرَق) من العربي الفصيح وكنت لا أعرف لها مرادفاً . فرغبت اليه ان يمهلني في الجواب حيناً من الدهر ثم طفقت أتصفح كتاب القاموس المحيط للفيروزابادي حتى ظفرت بضالتي التي أنشدها وأعلمت السائل بها .

وقد عثرت خلال البحث عنها على كلمات فصيحة تتعلق بالكرم . يتداول الناس غيرها من عامي ودخيل . فارتاحت نفسي الى متابعة البحث والاستقراء وتدوين مايقع اليّ من هذا النوع في رسالة مستقلة تقرب على الباحث كل قصيّ . وتذلل كل ابيّ .

حتى اذا توفر لدي جملة صالحة من ذلك نبهني صديق لي الى كتاب النخل والكرم المنسوب الى الأصمعي وهو مطبوع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت مع كتب أخرى نشرها الدكتور اوغست هفنر أستاذ العربية في كلية انسبروك والاب لويس شيخو مدير مجلة المشرق تحت عنوان : « البلغة في شذور اللغة » فاطلعت على نسخة منها من الطبعة الثانية صححها الثاني وضبط حواشيها ورتب لها فهارس على حروف المعجم . فألفيتها غزيرة المادة لكنها مشتتة المباحث خالية من الترتيب الذي يقرب الوقوف على مسائلها من الطالب والباحث فعارضتها بما جمعته واصطفيت منها ما لم اعثر عليه من قبل ثم استصفيت ما في المخصص لابن سيده وأضفت ذلك كله الى الرسالة - التي اشتملت على كثير من المباحث الطريفة والاسماء النادرة وأفردت لكل نوع من اجزاء الكرم مبحثاً مستقلاً أتيت فيه على كل ماوقع لي من الأقسام والأسماء والأصاف التي تتعلق به وتلائمه . الى غير ذلك مما لا يجده الباحث في غيرها من الكتب المطولة والأصول العظيمة .

وكنت أود ان استفرغ المجهود في ترتيبها وتهذيبها واستقراء المظان للتنقيب عما فيها من المسائل واستخراج ما فيها من العقائل ولكن القدر لم يشأ لي ذلك فقد فجعت بشقيقي الذي كان ساعدي الأشد وعضدي الأقوى ففترت بذلك عزيمتي وخامر رغبتي الخور . ثم أشار عليّ بعض الأدباء ان أنشر الرسالة على علاتها حذراً من ان يعرض لي ما يعوقني عن نشرها فتبقى في زوايا الإهمال . او تطوى بين ثنايا الايام والليالي و يذهب عملي بين سمع الارض وبصرها . فنزلت عند رغبته . ولم آل جهداً في التمحيص والتحقيق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في المسائل التي نقلتها والأصول التي اخذت عنهـا على الرغم مما كنت أجده من التحريف والتصحيف والخطإ في الأصول التي نقلت عنها ولا سيما كتاب الكرم المنسوب للأصمعي فان فيه كثيراً من الكلمات التي اشتبهت على الناسخ والناشر فتصرفا فيها على ما خيلت شرحاً وضبطاً وتأويلا .

وكذلك رأيت في لسان العرب وتاج العروس ومباديء اللغة للاسكافي والمخصص لابن سيده ضروباً من عبث النسخ والطبع مما شوّه نضرة هذه الاصول وجعل الوصول الى الحقيقة فيها أعزّ من الأبلق العقوق . ورأيت من المفيد جداً ان أبين شيأ مما عثرت عليه من الغلط في هذه الكتب ليأمن الباحثون الوقوع فيها اذا عولوا عليها بدون تمحيص وتثبت وآثرت الابتـداء بكتاب الأصمعي لانه أوفرها خطأ وتحريفاً واكثرها غلطاً وتصحيفاً على ان في نسبة هذا الكتاب الى الأصمعي مجالاً واسعاً للنظر والشك وان الباحث اذا أمعن النظر في تضاعيف سطوره لا يسعه الا الجزم بان نسبته الى الأصمعي خطأ محض والى القراء الكرام تحقيق ذلك وبيان رأي الناشر والمصحح فيه .

(١) ان ناشر كتاب الباغة افتتحه بمقدمة ( ص ٢ ) بين فيها الاسباب التي حملته على نشر الرسائل المدونة في هذا المجموع . وبعد ان أفاض في مدحه قال : « وهو يبتديء بثلاثة كتب تنسب الى الأصمعي اي كتاب الداران ثم النخل ثم الكرم الخ » .

(٢) ثم افتتح كتاب النخل والكرم بمقدمة أخرى فقال : (في ص ٦٣) « كتاب النخل والكرم للأصمعي ثم قال : ( مقدمة ) هذا أثر ثالث للغوي الامام ابي سعيد عبد الملك ابن قريب الأصمعي كنا استنسخناه في دمشق الفيحاء عن نسخة مصونة في خزانة كتب الملك الظاهر وهو في الأصل ملحق بكتاب قديم منسوب لابن قتيبة الكاتب الشهير يسمى كتاب الجراثيم . ولما كان الدكتور اوغست هفنر مغرماً بمصنفات الأصمعي رغب الينا ان ينشره في مجلة المشرق مع تعليق بعض شروح لغوية عليه نقلاً عن معاجم العرب لاسيما اللسان فلبينا دعوته ونشرنا هذا الاثر الجليل في أعداد السنة الخامسة من مجلة المشرق بعد ان قابلناه بالتدقيق على النسخة الأصلية في سياحة باشرناها اذ ذاك الى عاصمة ولاية سورية[1] الخ ...

(١) هكذا ضبطت في الاصل بتشديد الياء والصواب تخفيفها كما في القاموس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم قال ان نسبة الدكتور هفنر هـذا الكتاب الى الأصمعي فهي على ما نظن تغليب لان نسختنا التي اخذ عنهـا لا تصرّح باسم الاصمعي . ومن المحتمل ان يكون الكتاب لابي عبيد معاصر الاصمعي المتوفى سنة ٢٢٤ للهجرة الخ ..

(٣) قال عند الكلام على الكرم (ص٧٣) « كتاب الكرم عن ابي حاتم السجستاني ثم قال في آخر الصفحة ( كذا في الاصل ) والظاهر ان ابا حاتم السجستاني روى كتاب الكرم عن الأصمعي ولعله روى ايضاً عنه كتاب النخل السابق ذكره الخ » ..

هذه جملة مما قاله الناشر والمصحح . وفيه تناقض بين . لان قوله في مقدمة الكتاب اي رقم [١] يبتديء بثلاثة كتب تنسب الى الاصمعي الخ . صريح في ان كتاب الكرم للاصمعي اذ لم يذكر هناك ما ينفي نسبته اليه . وقوله في المقدمة الثانية اي رقم [٢] هذا أثر ثالث الامام اللغوي الخ .. يفيد الجزم بنسبته للاصمعي .

ثم قوله بعد ذلك : وهو - في الاصل ملحق بكتاب قديم منسوب لابن قتيبة الخ . يناقض ما قبله .

وقوله بعد ذلك : ولما كان الدكتور هفنر مغرماً بمصنفات الاصمعي رغب الينـا ان ينشره ... فلبينـا دعوته ونشرنا هذا الاثر الخ .. يفيد القطع بان هذا الكتاب للاصمعي .

ثم قوله : واما نسبة الدكتور هذا الكتاب الى الاصمعي فهي على ما نظن تغليب . وقوله : ومن المحتمل ان يكون لابي عبيد . ثم قوله : ومن المحتمل ان يكون لابي حاتم الخ . يفيد الشك في نسبته الى الاصمعي .

ومن البديهي ان هذه الأقوال متباينة جد التباين وليس شيء منها قائماً على يقين بل كلها مبنية على الحدس والتخمين .

والذي يظهر لي ان نسبة هـذا الكتاب الى الاصمعي لا تصح بوجه من الوجوه لاسباب كثيرة .

منها ان الكتاب مفتتح بهذه الجملة « حدثنا الحسن بن علي الطوسي قال حدثنا ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري ببغداد قال اخبرنا ابو حاتم سهل بن محمد بن عمر السجستاني قال قال الطائفي : يقال لشجر العنب الخ .. » وليس في هذا السند ذكر للأصمعي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولو ان اباحاتم رواه عن الاصمعي كما توهمه الناشر لصرح بذلك ٠

ومنها انه ذكر في الكتاب المذكور في الصفحة ٨١ والسطر ١٥ هذه الجملة ( وقال الجوهري اكمح الكرم الخ ) ٠

وهذه الجملة اما ان تكون مدمجة في هذا الكتاب وهي لغير مصنفه وذلك يدعو الى عدم الوثوق به كلاً او بعضاً لاحتمال ان يكون غيرها مثلها من كلام غيره ٠

واما ان تكون من اصل الكتاب فتكون حجة قاطعة على عدم جواز نسبة هذا الكتاب الى الاصمعي اوابي عبيد اوابي حاتم لان الاصمعي توفي سنة (٢١٣) او (٢١٦) او (٢١٧) ٠ واباعبيد توفي سنة (٢٢٣) او (٢٢٤) ٠ واباحاتم توفي سنة (٢٤٨) او (٢٥٠) او (٢٥٥) وقد كانت وفاة الجوهري سنة (٣٩٠) او (٣٩٨) او (٤٠٠) ولم يثبت ان الجوهري عاش نحو قرنين لتتأتى له الرواية عن الاصمعي او ابي عبيد او ابي حاتم ٠

ومنها انه قال في متن الكتاب ( في ص٨٥ ) قال أنس فاتحت في ذلك نفطويه في بغداد الخ ٠٠ وقد كانت ولادة نفطويه سنة ٢٤٤ ووفاته سنة ٣٢٣ ٠ فولادته بعد موت الاصمعي بنحو ثلث قرن تقريباً وبعده وفاة ابي عبيد بنحو ربع قرن وقبل وفاة ابي حاتم بنحو اربع سنوات ومن المحال ان يروي واحد من هؤلاء عن انس الذي فاتح نفطويه الذي ولد بعد وفاة الاولين وقبل موت الثالث بمدة لا تتأتى فيها الرواية عنه كما ان رواية واحد من هؤلاء عن الجوهري مستحيلة ايضاً ٠

ومنها انه يقول في متن الكتاب أنشد الاصمعي كذا وقال الاصمعي كذا وذلك في مواضع كثيرة منها قوله في ص ٨٥ وأنشد للاصمعي ٠ وقوله في ص٨٩ واما الاصمعي فقال ٠ وفي ص٩١ وأنشد الاصمعي للاعشى ٠ وقال الاصمعي ٠ وأنشد فيها ٠ وفي ص ٩٢ قال ابو سعيد السكري قال اخبرني الرياشي والزيادي عن الاصمعي ٠ وفي ص٩٣ قال الاصمعي الى غير ذلك ٠ ولو ان هذا الكتاب للاصمعي لم يقل فيه ٠ قال الاصمعي وأنشد الاصمعي وأخبرني الرياشي عن الاصمعي ٠ اذ لا يتأتى ان يروي عن نفسه بواسطة وبدونها ٠

ولا تصح نسبة هذا الكتاب الى ابي حاتم لما ذكرناه آنفاً ٠ ولانه يقول في متنه في ص٧٥ ٠ وفي غير رواية عن ابي حاتم قال قال الخليل بن احمد الخ ٠٠ ولو كان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لابي حاتم لم يقل ذلك وفي الصفحة نفسها يقول : قال ابو حاتم : وكذا في ص ٨٦ في مواضع متعددة . وفي ص ٩٠ يقول قال ابو سعيد الخ . وفي ص ٩٢ قال ابو سعيد السكري قال اخبرني الرياشي الى آخر ما تقدم وليس فيه ذكر لابي حاتم والمعروف ان ابا سعيد هو الذي روى عن ابي حاتم الى غير ذلك من الامور المتناقضة التي لا يمكن الجمع بينها .

فأصبح هذا الكتاب مجهول الاب دعياً في النسب لا يعلم من هو ابوه على التحقيق .

ويدل على بطلان نسبته الى واحد من هؤلاء الأئمة الأعلام امور جمة منها : كثرة ما فيه من إعادة البحث الواحد بالمعنى الواحد في موضعين فاكثر فقد ذكر الحبلة وغرسها وما يخرج منها من الزمع والشكر الى آخره في ص٧٣ وص ٧٤ ثم كرر معظم ذلك في ص ٨٦ وص ٨٧ وكذلك ذكر ضروب العنب في ص ٧٥ فما بعدها وكرر اكثرها في ص ٨٥ فما بعدها .

وذكر ما يدعم به الكرم والنخل في ص٧٨ واعاده في ص ٨٢ وص ٨٣ الى غير ذلك مما يتبين بالرجوع اليه والوقوف عليه .

ومنها : كثرة ما فيه من ركاكة التأليف والتعقيد مما لم يعهد أمثاله في كلام هؤلاء الأعلام . كقوله في ص ٨٤ والكظامة لها جدران جدر من كل ناحية وهما حافتاها . وقد كظم الكظامة بجدرين والجدر طين حافتيها .

فقد فسر الجدر في اول كلامه بالحافة وجعله في آخر كلامه طين الحافتين . وهذا على غاية من التناقض والسخافة . ثم قال بعد ذلك : والطي ويسمى الدبل وهي مدبولة بالطين والحجارة اي مطوية تطوى بالحجارة فربما قصُر الحجر منها فلا يلحق باخوانه فيجعل تحته حجير صغير ليرفع الحجر فذلك الصغير يسمى الوسيطة وهو المكان من المكانين اللذين فيهما العنب وليس فيهما شيء وتسميه المحجر والجمع المحاجر وهو الركيب والجمع الركب الخ .. فانظر الى ركاكة قوله وهو المكان من المكانين الى آخره . وما فيه من سخافة اللفظ والتعقيد والغموض مما يجعل المعنى اخفى من السهى وأعقد من ذنب الضب .

وكقوله في ص٩٤ وقال بعضهم : المَرِيث يعمل من سوبق البلسن ومن البهش يعني المقل ومن المطل ومن الشاريق ومن الحَدَل والحدل شجرة تكون بتهامة يقال لها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأعاليف فذلك ما كان طحن ثم سقي الرُب . والحدل يعمل من العَطفق وهو مما وصف الحمصيص يرب بعصير العنب ثم يؤكل الخ .

فان قوله : فذلك ما كان طحن الخ . وقوله وهو مما وصف الحمصيص الخ غاية في الركاكة والسخف .

ولقد فتشت كثيراً من كتب اللغة كالمصباح والصحاح والمختار والقاموس وشرحه واللسان فلم أجد من ذكر المريث والحَدَل والعَطفق بهذا الوزن وهذا المعنى .

ويؤيد بطلان نسبته الى امثال هؤلاء الائمة ايضاً كثرة مافيه من التصحيف والتحريف والغلط والالفاظ الحوشية وقد وقع فيما كتبه الناشر والمصحح في ذيل الكتاب شيء من الخطإ في ضبط الكلمات وتفسيرها .

وهذا نموذج قليل مما جاء فيه من هذا القبيل :

قال في ص ٧٥ في ضروب العنب والشوكي . ولم أجدها في شيء من كتب اللغة ولعل صوابها التبوكي .

وقال في ص ٧٥ ايضاً (والنَّوَّاسِيّ) الواو مشددة وقد ضبطه هنا وفي ص ٧٦ بفتح النون . وضبطه في ص ٨٥ بضمها وبتشديد الواو في المواضع الثلاثة . وقد قال في التاج (والنواسي) بضم النون . وجاءت في لسان العرب مضبوطة بالشكل بضم النون وتخفيف الواو . وفي المخصص بفتح النون وضمها مع تخفيف الواو . ولم ار من ضبط الواو بالتشديد .

وقال في ص ٧٦ واما الأطراف فابيض طوال رقاق . قال الشارح نظنه يريد العنب المعروف باطراف العذارى وهو عنب ابيض طوال كأنه البلوط يشبه باصابع العذارى المخضبة الخ .. وظاهر ان قوله عنب ابيض الخ ينافي قوله يشبه باصابع العذارى المخضبة لان الأصابع المخضبة لاتكون بيضاء . وقد سبقه الى هذا الوهم كثير . وسيأتي انه عنب أسود وهو الملائم لقوله يشبه باصابع العذارى المخضبة .

وقال في ص ٧٩ ثم يقال قد أثلث اي قد فصل ثلثه وأكل ثلثاه « هكذا ضبطها بالفاء والصاد المهملة وبفتحها » وذكر في الذيل : انها في الأصل قد فضل اي بالفاء والضاد . والصواب فضل كما كانت في الأصل كما في اللسان والمخصص والتاج .

وفي ص ٨٠ فيسمون عنقود العنب الفنا . والصواب القنا بالقاف المكسورة كما في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المخصص واللسان والقاموس وغيرها . وفي ص ٨٠ ايضاً ويسمون كرم العنب الذي يعرش في اصول الشجر العظام العوادي الخ . ومثله في المخصص يعرش في اصول الشجر والصواب بغرس بالغين والسين كما يشعر به بقية كلامه و كما في تاج العروس .

وفي ص ٨١ فاذا عظمت جداً سميناها بنيقة ثم يكون حثراً ثم يكون غصناً وذلك اول ما يعقد فلا يزال غصناً حتى يأخذ في النضج و يرى فيه السواد الخ . قال الشارح في الذيل : ومنه أغصن العنقود وغصّن اذا كبر حبه شيأ . ولا تخفى مافي قوله وذلك اول مايعقد . وقوله أغصن اذا كبر حبه . من التناقض . والصواب ثم يكون غضاً بالغين والضاد المعجمتين كما سيأتي عن اللسان والمخصص وغيرهما . وفي ذيل الصفحة نفسها الحمنة الحب الصغير كالحمنان ولم ار من ذكر الحمنة بهذا المعنى .

وفي ص ٨٣ فاذا غرسنا العنب عمدنا الى دعائم نحفرنا لها في الارض من هذا الجانب دعامة بخيال هذه الدعامة الخ . ولا معنى للخيال هنا والأقرب ان تكون بحيال اي بازائها او قبالتها . وفي الصفحة نفسها : وتسمى هذه الخشبة المعروضة بالأطر . ضبطها المصحح بضم الهمزة وفتح الطاء . وقال في الذيل الأُطَر والإطار جمع إطْرة وهي نضبان الكرم الخ . ولقد فتشت لسان العرب والتاج والمخصص والمصباح والصحاح والمختار وغيرها فلم أر من ذكر الإطرة بهذا الوزن والمعني ولا من ذكر انها تجمع على أُطَر وإطار كما ذكره المصحح .

وذكر في ص ٨٥ في ضروب العنب (النُّوَاجِيّ) ولم اجد له ذكراً في شيء مما لدي من كتب اللغة .

وفي ص ٨٦ : ويقول العرب في العنب انه لشحم اذا كان رياناً والرمانة ريانة الخ . وفي اللسان ورجل ريانُ وامرأة ريّا . وفي القاموس وهو ريانُ وهي ريّا . وفي المختار والريان ضد العطشان والمرأة ريا . فقد جاءت في هذه الاصول بلاتنوين في الاول ولا تأنيث في الثاني . وفي المصباح فهو ريان وهي ريى[1] على وزن غضبان وغضبى . والمعروف عند النحاة ان فعلان اذا كان مؤنثه على فعلى يمنع من الصرف اي

(١) هكذا جاءت في النسخة المطبوعة بالمطبعة الخيرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلا يدخله التنوين . وان فعلان لا يأتي مؤنثه على فعلانة الا في الفاظ معدودة . وليس ربان منها . ففي هذه الجملة خطآن يبعد كل البعد ان يقعا من مثل الأصمعي او ابي عبيد او ابي حاتم .

وفي ص ٨٩ (قال الجذامي : نَبَّ العنب اذا ماقطع عنه ماليس يحمل) . ولم ار من ذكر (نبّ) بهذا المعنى . ولعل اصلها قنب كما سيأتي . وفي الصفحة نفسها مزج العنب اذا ما لوّز . وليس في مادة لوز ما يدل على هذا المعنى . ولعل اصلها لوّن كما سيأتي .

وفي ص ٩٠ والجباب الركايا الى ان قال والواحد الجبّ . ضبطه بفتح الجيم . وهو في اللسان وغيره بالضم .

وفي ذيل ص ٩٠ وفي اللسان (السُّربة) الصف من الكرم وجاء في مادة شرب : والشَّرَبَّة الطريقة من شجر العنب . وليست مذكورة في مادة شرب في نسخة اللسان المطبوعة .

الى غير ذلك من ضروب الأغلاط والتصحيف والتحريف مما ذكرنا منه بعضاً فيما مضى . وبعضاً فيما يأتي . وضربنا صفحاً عن الباقي خشية الإطالة على ان فيما تقدم من الأدلة وحده ، مقنعاً للباحث في ان هذا الكتاب لا تصح نسبته الى الأصمعي ولا الى غيره ممن أراد الناشر إلصاقه بهم .

ومما يذكر بالأسف ان كتابي المخصص واللسان لم يخلوا من عبث الطابعين وإهمال المصححين فقد رأيت كثيراً فيهما من الخطإ والتحريف . منه ما جاء في المخصص في الجزء ١١ ص ٦٥ ويسمون ما في جوف الهَبْرة خُبَّة ضبط فيه بالشكل . الهبرة بفتح الهاء وجاءت الخبة بالخاء المعجمة وسيأتي ان الهبرة بالضم . اما الخبة فلم ار من ذكرها بهذا المعنى ولعلها مصحفة عن الحبة بالحاء المهملة . وفي ص ٦٧ ويقال للخشب التي يعرش فوقها ( العوارض والمعاطج ) ولم ار من ذكر المعاطج .

وفي الصفحة نفسها وتسمي الكروم التي تعرش في اصول الشجر الخ . والصواب تغرس كما في التاج وكما يشعر به بقية كلامه .

وفيها ايضاً ويسمي ذلك المكان (الضار) بالضاد المعجمة . والصواب (الصار) بالصاد المهملة كما في التاج .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفى ص ٧٠ ( والهَرور ) بفتح الهاء . وقد ضبطها التاج بضمها .

وفى ص ٧١ ( والمَحْمِل ) وقد ضبطه في كنبر .

ومنه ما جاء في اللسان في مادة ( هر ) والهَرور ضبطت بالشكل بفتح الهاء وقد تقدم عن التاج انها بالضم .

وفى مادة ( غض ) والغض الحِبْن من حين يعقد الى أن يسودّ ويبيضّ . وقيل هو بعد ان يحدر الى ان ينضج الخ . ولا معنى لقوله الحبن ولا بقوله يحدر بل الصواب في الاول الحثن وفي الثاني يجدر كما نص عليه المخصص . وسيأتي تحقيق ذلك وغيره مما عثرت عليه في مواضعه ان شاء الله تعالى .

وقد رأيت ان أقدم على مبحث الكرم كلمة فى النجم والشجر والجنبة لجزالة فائدتها . وان أضيف الى لمباحث ما اعثر عليه من الفوائد اللغوية . لان الغاية من نشر هذه الرسالة تقريبها من الباحثين وعرضها على رجال العلم ليرشدوني الى ما فيها من الخطإ والزلل . ثم بعد ذلك أنحي عليها بالترتيب والتصحيح والتهذيب . ولست اعتقد السلامة من الغفلة والخطإ في كل ماجاء فيها ولا بلوغها الغاية في الجودة والإحاطة باطراف الحديث لان العصمة والكمال لله وحده .

عضو المجمع العلمي العربي
سليم الجندي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net